

أزمة النقد العربي لا تقف عند حد المجال الأدبي بل تتعبدها إلى غيره من المجالات ، فهناك أزمة عامة في الموقف النقدي

في أزمة النقد العربي المعاصر

الانسانية حيث وقفت رغباته وحاجاته عند ذلك الطور البدائي الذي تتشابه فيه الأفراد وكأنها نسخ من كتاب واحد . وقد

بقيت رجاها والنقاس

نتج عن المشاكل التي اقترنت بوجود الاستعمار أن أصبح واقع الحياة شاقاً قاسياً بحيث يخرج الفرد من الصراع القائم بينه وبين هذا الواقع بما يصيب طاقاته الانسانية بالتخدر الشديد ، ويمجّد ملكاته الخالقة التي لا يتاح لها النمو إلا في بيئة نفسية تتمتع بالهدوء وعدم التشتت ، مما لم يتح للشخصية العربية طيلة ماض طويل ، غني بالألم والعواصف التي ظلت تزلزل من هذه الشخصية حتى اصابها ما اصابها من تخدر وعجز عن الخلق والتذوق .

وهناك عامل آخر في هذه الأزمة الانسانية ، هو تراكم غفلة الفرد العربي عن الكشف عن حقيقة شخصيته في التاريخ والحاضر الحي ، حق يستغل امكانياته الطبيعية ويلائم بين فهمه وواقعه الذي يعيش فيه . ولعل اضطرابه وقلقه ازاء التيارات الحضارية المختلفة بين عربية قديمة وغربية معاصرة ، وكذلك عجزه الى حد كبير عن مواجهة الادعاء الاسرائيلي الذي يقول بوجود مبررات تاريخية تؤكد لاسرائيل حقها في وطن قومي بفلسطين ، راجع الى هذا العامل الثاني من عوامل ازمته .

ونحن اليوم في مطلع مرحلة جديدة من مراحل تاريخنا أبرز ما نحتاج اليه هو النزوع الى البناء ، ومراجعة رصيدنا الراهن في مختلف مجالات الحياة ، حتى نتمكن بذلك من توجيه تاريخنا إلى المجال الذي يخدم انسانيتنا بعد ان انحرف عنه طويلاً ، ولم يعد هناك لدى الاتجاهات البنائية الواعية في حياتنا من خلاف في أن الفن ذو ضرورة اجتماعية ، تنبعث مما يحدثه من آثار في وجدان الانسان تزيد غنى وحساسية بما يترك أثره المباشر على طبيعة العلاقات الانسانية بين الافراد ، وطبيعة الاحساس بالمسؤولية خلال المواقف المختلفة في الحياة . وقد اقترنت انبعاثات الحضارة الانسانية في مختلف صورها بنشاط الطاقة المدعة في الفن ، وإذا كنا نعي بالتقدم الحضاري معنى أولياً بسيطاً هو : ارتفاع قيمة الانسان ، كإنسان ، في بيئته ، فان من الطبيعي ان يقترن هذا التقدم دائماً بالتقدم

إزاء أشكال الفن المختلفة في المسرح والسينما وغيرهما . والواقع أن هذه الأزمة النقدية مرتبطة بالأزمة العامة في الفن ، ونعني بالأزمة الأخيرة عدة مظاهر ، من أهمها العلاقة بين الأثر الفني والحياة فإن علاقات الأفراد ومستوياتهم ، في واقعنا لم تتأثر بعد بالفن الذي يظل إلى حد كبير محصوراً في الكتاب فلا تتداوله إلا المجالات الخاصة ، أما بالنسبة للمسرح والسينما ، فمضمون النظرة الغالبة اليها هو الرغبة في التسلية التي تنشأ طبيعياً في نفس الفرد كلما عجز عن إيجاد معنى لحياته يخرج من المستوى الذي يتحول الزمن فيه إلى فراغ مخيف ، تتساوى معه الجريمة والتسلية والعمل اليومي الرتيب في انها تكون المصدر الذي يستقي منه الفرد هذا المعنى اللازم الذي لا يمكن ان تستقيم الحياة بدون .

وهذا المظهر من مظاهر أزمة الفن له دلالاته على مدى تخلف النقد عندنا في تأدية وظيفته ، وكذلك على المستوى الانساني الذي يعيش فيه الفرد العربي اليوم . والواقع انه ينبغي ان نبحث عن أزمة الفن لا في عملية انتاجه ومستوى هذا الانتاج فحسب ، بل ايضاً في مدى قابلية الواقع للتأثر به والاستجابة له . وعلى هذا الأساس نحب ان نشير إشارة عامة إلى أزمة الانسان العربي ، ونحن بسبيل الحديث عن أزمة النقد التي شاركت في اعطاء صفة سلبية للعلاقة بين المؤثر الفني والقارئ ، حتى نكون على وعي بالمجال الذي نشأت فيه هذه الأزمة حيث لا يمكننا فصلها عن غيرها من أزمات واقعا الراهن في الفن والحياة .

وأزمة الانسان العربي ناشئة عن عوامل متعددة ، أبرزها ما فعلته بقسوة قوى الاستعمار (١) بضغطها على امكانياته ، والعمل على تجميده دهنراً طويلاً عند مستوى منحدر من

(١) نحن نقصد هذه الكلمة بمعناها الواسع بحيث تشمل الخطر الذي يشع من وجود اسرائيل في وضعها الراهن ، وكذلك الخطر النبعث من بعض التيارات الثقافية التي تأتي إلى العالم العربي من خارجه أو تنشأ فيه ، وتعتمد في مقوماتها على تفذية مستوياته البدائية وتنمية سلبيته في موقفه من الحياة بابعاده عن حياته الحقيقية وسفله بغير مشكلاته وأزماته .

خاص بالشعر

تصدر مجلة « الآداب » في مطلع العام القادم (اي العدد الاول من السنة الثالثة) عددًا ممتازاً خاصاً بالشعر ، يضم دراسات ضافية عن الشعر العربي الحديث في مختلف الاقطار العربية ومجموعة من احداث قصائد كبار الشعراء العرب ، فضلاً عن الابحاث والموضوعات المتنوعة التي تمت الى الشعر بصلة . وستنشر في هذا العدد نتائج مسابقة « الآداب » في الشعر . هذه المسابقة التي انتهى اجلها هذا الشهر . ترقبوا هذا العدد الممتاز .

المراحل القلقة من تاريخ الحضارات ، هؤلاء الذين يتمتعون بمواهب وطاقت خالقة ، تتعرض للضياع لأن أصحابها لا يملكون الشجاعة على الاستبطان الأمين لحقيقة شخصيتهم ومعاناة تجربة الخلق ، خائفين من الفشل او غير واعين تماماً بالمسالك التي تؤدي إلى تأكيد ذواتهم كمدعين بعد اكتشافها والوعي بها ، مما يستطيع أن يؤديه هؤلاء الذين اختاروا الدراسة والمتابعة على اساس من الوعي والوضوح .

والنقد الأدبي هو هذه الطاقة الارادية حين تتخصص في مجال الأدب ؛ وعلى هذا المجال نريد أن نقصر حديثنا بعد أن ربطنا بين أزمة الموقف النقدي وأزمة الحياة والفن . والنقد الأدبي يؤدي دوره عموماً في ثلاثة مجالات متصلة مترابطة : أولها الفنان وثانيها العمل الفني ، وثالثها القارئ . فهو يدرس الفنان وعمله أو أحدهما بقصد الكشف عن كل الظروف التي أحاطت بعملية الخلق ، وكل العناصر التي كونت العمل الفني ، كما يقوم الناقد بعملية استبطان لانهالات الوجدانية واستجاباته الذهنية للعمل الفني كقارئ ؛ وهو هنا يخلق العمل الفني من جديد فيما هو يعيش تجربة شرحه وتفسيره من خلال ذاته ؛ والناقد في هذا كله إنما يستعين بأدوات متعددة تتركز أخيراً في ثقافته وذوقه ، على ان يتضمن مفهوم الثقافة التمثل الواعي للدراسات الموضوعية للمدارس والمراحل الأدبية المختلفة التي أخذت صورتها الكاملة المتميزة في التاريخ ، وكذلك على معاصرة اتجاهات مجاله الأدبي ، بحيث يقف على

الفني ، وهو نتاج نشاط الطاقات الداخلية في الانسان والتي تعتبر جوهره وحقيقته ، بل إننا نؤمن بالفن كمرصد أمين للتقدم الانساني ، وباعت صادق على الأمل في المستقبل دون غيره من وجوه النشاط المختلفة . وقد اصبحت الأدلة كافية بعد تجربة الحربين العالميتين الاخيرتين وانهايار معالم كثيرة من الحضارة المادية خلالهما ، لافئنا من جديد بأن الفن هو أجدر الجوانب بتمثيل الانسان تمثيلاً صادقاً في تقدمه ورقبه ، وفي توتره الذي يمهد السبيل ويهيئها لتطوره .

وأي مرحلة جديدة من الحضارة انما تعتمد في بنائها على طاقين : إحداهما ارادية منظمة ، تؤدي دورها نتيجة الاحساس بضرورة تغيير الوضع الحضاري الراهن وعلى أساس وعيها بحاجات هذا التغيير ، والأخرى خالقة مبدعة لا يتحكم فيها قانون يمكن تحديده وتنظيمه ، لأن الابداع لا يلتزم اولاً إلا ذاته في نشأته وتطوره ، وغالباً ما يبدو مختصراً في صورته الأخيرة مراحل قبلية مما يجعله بمثابة الطفرة والوثبة . ومن الطبيعي ألا تنفصل الطاقان انفصالاً تاماً ، إذ أنها تتعاونان في سبيل إعطاء المرحلة الحضارية صفتها الأخيرة ، وتهيئتها للتقدم إلى مرحلة أخرى ؛ ولكننا نستطيع ان نقول إن القسط الاكبر من المسؤولية إنما يقع على عاتق الطاقة الارادية أولاً ، فهي التي تنشط القوى المبدعة وتهيئ بشتى الوسائل ، التراث الذي تعتمد عليه ، بل هي التي تخلقها أحياناً بتسميتها للبذور الكامنة في الكيان الداخلي للأفراد ، وما اكثرهم ، في

كل تطوراتها وامتداداته . ويتضمن مفهوم الذوق المقياس الأخير الذي كونه الخبرات القرائية والانسانية المختلفة ، ويكاد هذا المقياس أن يكون جوهر شخصية صاحبه إذ يتضمن كل صفاته واتجاهاته التي تحدد لون استجاباته للمؤثر الفني ووعيه له . ومن هنا نقبين ان الثقافة تكاد تكون هي الكاشفة عن شخصية الناقد والمنمية لصفاته وخصائصه ، بينما يمثل الذوق خلاصة عملية الكشف والتنمية التي تقوم بها الثقافة في شخصية الناقد ، ومن ذلك نخلص إلى حقيقتين لها أهمية كبرى في فهمنا للنقد ، أولاهما وتكاد تكون بديهية ولكنها في واقعنا تحتاج إلى تأكيد طويل ، - هي ضرورة الثقافة للناقد ، وثانيتهما أن الذوق مكتسب إلى حد كبير ، ومن الممكن توجيهه وتنميته بالكشف الثقافي والعادات المكتسبة من القراءات الواعية والخبرات الانسانية العميقة .

ولو حاولنا أن نقوم بعملية استقراء للوضع الراهن للنقد العربي لوجدناه يؤدي دوره في نطاق اتجاهات ثلاثة ، أولها اتجاه يعتمد على التراث العربي القديم في النقد ، وثانيها يعتمد على التراث الغربي ، ويتمثل ثالثها في المحاولات الذاتية . وسنحاول رسم بعض مظاهر الأزمة النقدية والحلول الممكنة ، تبعاً لفهمنا لوظيفة النقد ومقوماته ، من خلال حديثنا عن هذه الاتجاهات الثلاثة لنرى مدى صلاحيتها لحلق نقد عربي معاصر بصورتها الراهنة . ولن نحاول أن نتكلم عن هذه الاتجاهات إلا في خطوطها العامة دون اعتماد على تقديم النماذج والأمثلة التي تحتاج إلى مجال أوسع ، كما أن أحكامنا على هذه الاتجاهات لا تقصد إلى التعميم والاطلاق بل تعني الظواهر الغالبة في كل اتجاه ،

★

فالتراث العربي القديم في النقد ، ومنه المرحلة البلاغية في مختلف صورها ، نشأ في بيئة فنية كان مجموع الأشكال فيها هو الشعر في قالبه المعروف : القصيدة ، والنثر في صوره البدائية فيما عدا كيان نثري واحد هو القرآن الذي اخذ صورة اكمل وأنضج من حيث بناؤها الفني واحتل مكاناً كبيراً كموضوع للنقد الادبي . مثل هذه البيئة الفنية تختلف اختلافاً جوهرياً عن وضعنا الادبي المعاصر حيث تعددت الأشكال الادبية وكذلك تعددت الاتجاهات داخل نطاق الشكل الواحد ، ولم يقف شكل جديد في الادب العربي الحديث عن التأثير بتيارات متعددة ، مما نتج عنه تطور مختلف في الدرجة

والقيمة لهذه الاشكال - ومثل هذا الاختلاف بين الادب العربي الحديث والادب العربي القديم ، يفقد الموقف النقدي القديم ، المرتبط بالواقع الفني لعصره ، كل امكانياته على التلاؤم مع واقعنا الادبي الراهن او تأدية دورٍ ما بالنسبة له .

وبالرغم من تحدد بعض اجزاء التراث القديم في التاريخ ، الا ان تصنيفه فنياً واستخلاص مدارس واتجاهات مختلفة فيه يكاد يكون غير ممكن ، مما اثر في طبيعة الموقف النقدي الذي بدا محصوراً في مجال واحد ضيق فكانت مشكلاته معروفة لا تتغير . وقد قامت محاولات تريد ان تتطور بالادب العربي من الخارج دون ان تخلق فيه تطوراً حقيقياً ما ، اذ لم يحدث ان قام اتجاه نقدي يدعو لحلق شكل جديد ، او تحطيم تقليد قديم في الاشكال القائمة او غير ذلك ، مما يدل على ان النفس العربية قد سارت في خط اتجاه حضاري واحد لم تتغير فيه تغيراً أصيلاً قط . اما هذه المحاولات التي أشرنا اليها كالتقاضي ، او الحركة التي تزعمها مسلم وابو تمام ، أو المقامات ، فليست إلا تضيخاً لبذور سابقة عليها في الادب العربي ، فكانت بمثابة محاولات ذهنية لم تصدر عن تطور له مقدمات وامتدادات في النفس العربية ، او عن حركة نقدية قامت نتيجة للشعور بالحاجة الى اشكال فنية تنقل هذه النفس الى آفاق جديدة غير تلك التي كانت تستغرقها في المراحل السابقة لنشأة هذه الحركات المحدودة الضيقة .

وفي مرحلة تاريخية طويلة من مراحل النقد العربي القديم نراه قد اخذ صورة البلاغة المتأثرة بالمنطق اليوناني والتي حاولت ان تضع قواعد ثابتة للقيم الجمالية في الادب باعتبار مفهوم يحدده على انه الاشكال الفنية التي وجدت عند العرب . ومن هنا احتلت مشكلة اللفظ والمعنى أكبر مكان في نطاق المشاكل النقدية ، وأدى هذا بالضرورة الى ان يهمل النقد قيم الادب الجمالية في حدود الاشكال الاخرى كالقصة والمسرحية ، بل والشعر كيان فني متكامل وحداته دون ان تنفصل او تتجزأ ، مما ينتج عنه عجز آخر في الموقف النقدي القديم عن التلاؤم مع هذه الاشكال الجديدة وما يتصل بها من مشكلات . ولناخذ بعد ذلك التراث الغربي وهو الاتجاه الثاني الذي يعتمد عليه نقدنا المعاصر ، وقد سار هذا التراث في نشأته بخطى طبيعية مرتبطة بالمراحل الجديدة التي كان الأدب الغربي

- البقية على الصفحة ٦٣ -

في أزمة النقد المعاصر

- تمة المنشور على الصفحة ١٠ -

يمر فيها ، والتي لم يكن لها في عصرها تيار مشابه في أدبنا ، وإنما تأثرنا بها بعد ذلك وعلى الخصوص بعد ابتداء القرن العشرين . والحقيقة أن تطورنا في المرحلة الراهنة إنما يعتمد على المفاهيم الأدبية التي استخلصناها على اثر اتصالنا بالأدب الغربي ، ووقفنا في أن نجعل البعض ملائماً لحاجتنا ، وإن كنا قد أخذنا الآخر على علته واكتفينا بمحاولة تقليده ، مما ترك أثره في خلق الاضطراب والقلق في أدبنا دون المشاركة في تطويره وتوسيع آفاقه .

والنقد الغربي يعتمد في موقفه من الأعمال الفنية على اتجاهات متعددة ، منها المستمد من المدارس الفنية نفسها كالكلاسيكية والرومانسية والرمزية ، ومنها المرتبط بمفاهيم فلسفية معينة تحدد ماهية الانسان وتدعو الى أدب يؤكد هذه الماهية كالماركسية والوجودية ، ومنها المعتمد على دراسات علم الجمال التي اتسعت واصبحت ذات قيمة وخطر . وهناك اتجاه كبير يعتمد على الدراسات السيكولوجية التي تقدمت وتطورت في دراساتها للعبقرية الفنية ، ولعملية الابداع ، واستجابات القارئ ؛ وبعض أصحاب هذا الاتجاه هم أنفسهم من علماء النفس كفرويد وأدلر ، ويونج - مع ملاحظة أن كل اتجاه من الاتجاهات السابقة يختلف إلى حد متفاوت في المجال الذي يؤدي فيه دوره من الفنان أو العمل الفني أو القارئ .

وقد تأثر النقد العربي المعاصر بهذه الاتجاهات ، ولكنه التأثر الجزئي الناقص بحيث لا نستطيع أن نميزها فيه بالقدر الذي تتميز به في النقد الغربي ، لا بقدر قريب منه ، بل إن الدراسات الجمالية مثلاً لم يكده يظهر فيها عندنا إلا بعض الكتب المترجمة دون أن يكون للاتجاه الجمالي نفسه وجود في أدبنا على الاطلاق ؛ وإذا كان الاتجاه السيكولوجي من أبرز المؤثرات في دراساتنا النقدية الحديثة ، فإننا بالرغم من ذلك لا نستطيع أن نميز اتجاهها عاماً ينزع الى فهم الأدب ودراسته هذا المنزع ، لا في دراسات جماعة من النقاد ولا في دراسات ناقد واحد . أما تصنيف الأدب حسب المدارس الأدبية كالكلاسيكية والرومانسية والرمزية ، فإنه يدخل إلى حد ضمن عناصر الدراسات النقدية عندنا ، ولكنه عنصر ناقص

لأن هذه المدارس الفنية قد نشأت في غير الأدب العربي وفي ظروف من الحياة وتاريخ الأدب لم تكمل تماماً في مرحلة من مراحل أدبنا القديم أو المعاصرة . وإلى جانب ذلك فإن هذه المدارس غير مفهومة في أدبنا إلا لدى المتخصصين ، ونحن نعني بفهمها أن تكون الآثار الأدبية التي تمثلها منقولة إلى العربية نقلاً سليماً يحمل خصائصها ومقوماتها ما أمكن ذلك ، وأن تكون هناك دراسات وعت هذه المدارس وتمثلتها بحيث تقدمها في صورة يمكن أن تترك آثارها الصحيحة لدى القارئ والمبدع ، لئتمكنا من الربط بينها وبين ما في شخصيتها من نزعات وحالات مختلفة ، وبذلك يكون القارئ على استعداد للتمييز بين هذه الاتجاهات الناشئة في أدبنا ، ويكون المبدع نفسه مهياً لفهم الطريق الذي يسلكه ، وتأكيده قيم الاتجاه الذي اختاره تبعاً لتكوينه النفسي .

وهنا لا بد أن نقول إن التراث الغربي في النقد كالتراث الغربي في الفن أجدر تراث إنساني بأن نهتم به ونعتمد عليه في موحلتنا الحضارية الجديدة ، بعد أن نلتم بينه وبين حاجتنا ، هذه الملاءمة التي لن تتوفر إلا باستيعابه وفهمه أول الأمر ، واستبطان استجاباتنا له والهزات المختلفة التي يحدثها في واقعنا لتأكيد ما يتلاءم معنا من قيمه وحالاته . وبما لا شك فيه أن التراث الغربي يعتبر من أبرز القوى التي ساعدت على تفتيح شخصيتنا وإخراجها إلى مجال أوسع مما كانت محصورة فيه من قبل . وإذا كنا قد خطونا خطى أكثر ايجابية في مواجهة القوى الاستعمارية فمن الحق ان نقول إن الثقافة التي وعيناها عن الغرب كانت أحد العوامل الرئيسية التي مهدت لحلق وعي بالاستعمار وما يرتبط به من أخطار ، ذلك لأن الثقافة الغربية التي نعنيها ثقافة إنسانية واسعة قبل ان تكون إقليمية محدودة ، بل إن التاريخ ليسجل لنا أن بعض مفكري الغرب وفنانيه قد سبقونا في الوعي بمشاكلنا والدفاع عن قضايانا في أعمالهم ، وحسبنا أن نذكر الموقف الذي وقفه برناردشو من حادثة دنشواي في مسرحية « جزيرة جون بول الأخرى » ، فإن انفعال المصريين ووعيمهم بها لم يكونا من القوة بالقدر الذي ظهر عند شو .

فالانتماءات النقدية المختلفة من جمالية وسيكولوجية ومذهبية هي التي ستهيئ لنا الوعي المطلوب لحلق حسن نقدي يؤثر ايجابية في تنمية الاتجاهات الأدبية وخلقها ، ولكن ينبغي أن تدخل إلينا هذه الدراسات بشكل منظم يرتبط بالأعمال الفنية

التي ارتبطت بها فعلاً في الغرب ، لأن الدراسات المجردة لن تجدي شيئاً بالنسبة للقارئ والمبدع ما لم تتضح بالتطبيق على الأعمال والحالات التي ارتبطت بها عند ظهورها .

ومن الواضح أن التراث العربي في النقد يختلف بالنسبة إلينا كل الاختلاف عن التراث العربي القديم الذي لا يمكن كما قلنا أن يتلاءم مع واقعنا الأدبي الراهن . فنحن في الحقيقة إنما نتجه ، تلقائياً ، في تطورنا إلى المستويات والآفاق التي وصل إليها الغرب ونبتعد بنفس الدرجة عن المستويات والآفاق العربية القديمة ، بل إن هذا هو مقياس تقدمنا الحقيقي مما يحتم علينا أن نبذل جهودنا في تمثيل هذا التراث الذي نتجه إليه ونحاول أن نرفع كياناتنا إلى مستواه ، هذا التمثيل الذي يتم عن طريقين : الترجمة الأمينة الدقيقة ، والدراسة الواعية المكتملة - على أن هذا لا يعني أننا نلقي بتاريخنا بعيداً وننكره بقدر ما يعني أننا نعترف به ولكننا نحاول أن نوجه خط سيره الذي رفضناه ، وجهة تتلاءم مع وضعنا العصري الراهن .

★

بقي الاتجاه الثالث في نقدنا المعاصر وهو الذي يعتمد على المحاولات الذاتية في فهم الأدب وتمثله . ويمثل هذا الاتجاه

صدر حديثاً

الأدبي القذرة

المسرحية العالمية الشهيرة

تأليف جان بول سارتر

نقلها الى العربية

سهيل ادريس اميل شويري

واهداها

الى الحزبيين وقادتهم في العالم العربي

في صراعهم بين المبدأ والوسيلة

الحلقة الاولى من سلسلة
دور العلم للملايين
روائع المسرح العالمي

أحياناً افراد لا تشترك نظرهم إلى الفن في خط واحد ، وإن اشتركت في صفتها الذاتية . ويدخل ضمن هذا الاتجاه أيضاً التيارات المختلفة التي حاولت أن تدافع عن قضايا نحو « علاقة الأدب بالحياة » وأخذت صورة جماعية بعض الشيء في محاولة القضاء على فهم الأجيال السابقة ، ونزعت - وخصوصاً في مصر - نزعة تدميرية في تأدية هذا الدور .

وهذا الاتجاه الذاتي ، في صورته التي يمثلها الأفراد يعيبه أنه يظل مرتبطاً بالمراحل الراهنة في ادبنا دون أن يسبقها ليشر بمراحل أخرى ظهرت في الآداب الإنسانية عن طريق دراستها وتوضيحها ومحاوله الدعوة إليها ؛ الى جانب انه يعتمد في فهمه للأدب على نقطة بدء غالباً ما تكون قد سُتق اليها من نقاد غربيين ، أو دُرست من جهة نظر أكثر عمقاً ، مما يفقد هذه المحاولات قيمة المعاصرة ، والوصول الى القضايا الرئيسية دون مقدمات طويلة تعتبر تكراراً لجهود سابقة وتكون في ذاتها عائقاً عن الوصول الى تلك القضايا المطلوبة (١) .

وكثيراً ما نتيج عن هذا الاتجاه الذاتي في النقد خلافات متعددة حول ماهية الأدب ، وعلى الأخص في هذه التيارات التي حاولت مواجهة الجيل القديم بمفاهيم جديدة تحاول - كما قلنا - اثبات قضايا على رأسها علاقة الأدب بالحياة . وقد وصلت هذه الخلافات أحياناً الى مرحلة من التجريد المسرف فقدت قدرتها ، كما هو طبعي ، على خلق المفاهيم الجديدة . ذلك لأن الخلافات حول ماهية الأدب لا تؤدي دوراً ايجابياً الا في حالة واحدة هي الدراسة الموضوعية الكاملة لهذه الماهية ، مع اقتران بالتطبيق على أعمال فنية مختلفة ، أو ان تكون هذه الدراسة حول الماهية مستمدة أصلاً من اعمال موجودة وجوداً سابقاً ، وبذلك تقوم في هذه الحالة على اختلاف صورها بدورها البنائي ، اما في حصر النتائج الايجابية التي توصل اليها الدارسون وحققها المبدعون في هذا المجال ، او في تأصيل اتجاهات ناجحة في ادبنا يمكن ان تأخذ صوراً أنضج وأكثر لو وعها النقد وعني بدراستها .

والى جانب اعتماد هذه التيارات على التجريد بما في ذلك من تعريض الاحكام والمفاهيم للخطأ فانها تحاول اعطاء صفة تدميرية للعلاقة بين اجيالنا ، وترد ذلك الى اختلاف تمثيل الاجيال لماهية الأدب . والواقع ان هذا الخلاف حول الماهية لا يحتاج

(١) من أمثلة هذه الدراسات كتب سيد قطب في النقد الأدبي ، إذ كثيراً ما كان يبذل جهوداً طيبة لدراسة قضايا تعتبر من المسلمات العامة لدى النقاد الغربيين ، إلى جانب أن نظرتهم إلى تلك القضايا أضيقت وأقل عمقاً .

ليتضح الى تلك النزعة التدميرية التي تصدر في الحقيقة عن مرض نغايه كظاهرة واضحة في مختلف مجالات الفكر والفن ، وذلك هو تضخم عناية الكاتب بالقيمة الاجتماعية لكتابه قبل اي شيء آخر ، ونعني بالقيمة الاجتماعية ما تحققة الكتابة حياة هؤلاء من معنى يشغلهم ويشبع نرجسيتهم وفرانهم الداخلي الحاد ، وبذلك يفقد الكاتب الاخلاص لعمله والتفاني فيه على انه عمل ذو ضرورة انسانية لا يعني الحياة والناس منها إلا ما تكشفه من حقائق ، وتشارك فيما يمتليء به الواقع من مشكلات وازمات تتجدد وتتعمق باستمرار في عالمنا المعاصر : والنتائج الواضحة التي ترتبت على هذا المرض استغلال كلمتي الفن والحياة بشكل لولي ، لا يقصد الى اقرار قيمة وإنما يغطي عجزاً وقصوراً في تمثل المفهومين والربط بينها في عمل يشبع نزوعنا الى البناء والتغيير . وهذا الاستغلال الخاطيء للمفهومين الفن والحياة في صورة تجريدية ، يؤكد لنا ما قلناه من ان الخلافات الطويلة حول ماهية الادب لن يكون لها قيمة ما دامت قائمة على اساس الفصل والتجرد من مرحلة التطبيق على الاعمال السابقة بشكل واضح ودقيق ، او على غير ارتباط بحركة بنائية تسعى لتأكيد مفاهيم مدروسة ومتمثلة في الذهن والنفس تمثلاً عميقاً . كما هو الحال مثلاً في المفاهيم الوجودية التي يعرضها سارتر في دراساته النقدية المختلفة ويحققها على نطاق واسع في مسرحه وقصصه . كما يحاول تطبيقها من خلال دراساته لأعمال فنية مختلفة في الشعر والمسرح والقصة .

على أننا نحب أن نقف قليلاً أمام مشكلة العلاقة بين الفن والحياة التي كثيراً ما شغلت التيارات النقدية المنطوية تحت الاتجاه الثالث في النقد العربي الحديث وهو الاتجاه الذاتي . فهذه المشكلة في الواقع أصبحت إحدى المسلمات العامة التي لا تنفك عن الدراسة والتأكيد ، فإن النظرة الواعية إلى الواقع الراهن في المجال الانساني على عمومه ، أو في المجال العربي خاصة ، تستطيع أن تميز ملامح أزمة تضغط بشدة على الانسان ، وتكاد تخلق في حياته مأساة عامة سواء بالنسبة لمصيره ، أو بالنسبة لنشاطه المبدع الذي مكّنه في الماضي من خلق بنايات حضارية لها قيمتها وخطرها . وبما لا شك فيه أن عالمنا الحديث قد أصبح أشد وعياً للتناقض القائم في مقولات الوجود العامة ، وأصبح على أساس هذا الوعي أكثر معاناة للألم المفزع الذي طالما عذب « إيفان » في « الاخوة كرامازوف » فرفض بسببه العالم ورفض الله ، كما توفرت لعالمنا امكانيات التدمير العنيفة الناتجة عن استغلاله للمادة بعد فهم دقيق لأسرارها . فالحالة الراهنة للعالم هي الترقب في قلق واضطراب ، أملاً في الخلاص ، او المصير بلا مأساة ، ومثل هذه الحالة الانسانية العامة لا يمكن ان ينتج عنها ادب غير مرتبط ومتأثر بها ، حتى لقد أصبح من الممكن ان ننزع التعاريف السابقة للادب ، ونقول إنه « التعبير عن الازمة » كتعريف موجز له يحدد وظيفته في مرحلتنا الانسانية المعاصرة . وهذا هو في الواقع ما تحققة الاتجاهات الباردة في ادب العالم فهو « في العبد » لفوكس ، و « جرذان وبشر » لشتاينيك ، و « طرق الحرية » لسارتر و « حذار من الشفقة » لستيفان زفاييج ، وشعر « تي . إس . إليوت » وبعض الاعمال الناجحة في ادبنا العربي . وعلى ذلك فان قضية العلاقة بين الأدب والحياة تعتبر كما قلنا مسلمة عامة لا تحتاج الى أدلة وبراهين بقدر ما تحتاج إلى تمثيل وتطبيق واعين ، وحتى ذلك الأدب الذي يصور الحب والوجدانات الذاتية المختلفة لا يمكن أن يلغي الأزمة التي تحيط بهذه الوجدانات ذاتها ما دام صادقاً في معاناتها ، فما أشبهنا في وضعنا الراهن بأشخاص « وقف التنفيذ » لسارتر ، هؤلاء المههدين بشبح الحرب المقبلة ، والذين كانوا يتصرفون في سلوكهم وتأملهم للعالم واستبطانهم لانفعالهم المختلفة وهم في إحساس عميق بالمأساة التي تدفع بهم عن طريق مباشر او غير مباشر إلى مجالها المفزع فيحسون أنهم على أبواب المصير المجهول ، المصير الدموي

صدر حديثاً

١٠ قصص عالمية

تمثل انتاج الجيل الجديد من ادباء القصة في العالم
وقد فازت بجائزة جريدة « نيويورك هيرالد تريبيون »

نقلها عن الفرنسية

الدكتور سهيل ادريس

دار العلم للملايين - بيروت

الثن ١٥٠ قرشاً لبنانياً او ما يعادلها



وبذلك تعتبر نقطة البدء المطلوبة في النقد العربي المعاصر متقدمة على مشكلة العلاقة بين الفن والحياة باعتبارها إحدى المسلمات العامة التي تتأكد من تلقاء ذاتها إزاء الأزمت العنيفة التي يمر بها الانسان المعاصر . وكذلك يختلف اتجاه النقد في مرحلته المقبلة عن ذلك الاتجاه الذي يمثله التراث العربي القديم الذي ما زال محتلاً مكانه من النقد العربي الحديث ، حيث يحاول ان يتلاءم مع الاشكال كالفن المسرحية والتطورات المختلفة للشعر غير واع بان تغيير الاشكال إنما يعنى في حقيقته تغييراً عميقاً في النفس العربية التي اخذت تنزع الى آفاق من التحرر ، وتشعر بالحاجة الى تصوير ألوان من الصراع الانساني تعيش فيه اليوم إزاء أزماتها ومشكلاتها المختلفة، مما لا يتحمله الادب العربي القديم أو امتداد له ، ولا تستطيع ان تعيه مقاييس ذلك الادب بأشكاله المعروفة حينذاك ، مما يؤدي الى ضرورة تغيير تلك المقاييس القديمة التي ما زالت تمثل اتجاهاً واسعاً في واقعنا النقدي المعاصر حيث لا نعدم من يدرس المسرحية أو القصة وكأنه يدرس قصيدة عربية قديمة مع عناية بالقيم الخارجية في الاعمال الفنية المختلفة ، ومنها الشعر نفسه ، مما كان يميز النقد القديم بوضوح .

كما تعتمد المرحلة المطلوبة في النقد العربي الحديث على

صدر كتاب

الأيدي النظيفة

مجموعة قصص

بقلم

سعيد حسن الصايغ

استيعاب التراث الغزلي في مجال الفصاة والمسرحية والشعر ، ثم استيعاب الاتجاهات النقدية التي ارتبطت بتطور المراحل المختلفة لتلك الاشكال ، والوعي بالدراسات السيكولوجية ، بتطوراتها المختلفة التي لا تتوقف ، باعتبارها من أبرز التيارات التي شاركت بشكل ايجابي في فهم الادب ، واستبطان عالمه الداخلي ، دون الوقوف عند حدوده الخارجية ، وكذلك استيعاب الدراسات الجمالية التي تمثل النقد في صورة متطورة ، فهي شكل جديد من أشكال الموقف النقدي .

ويمكننا بعد ذلك ان نقول ان النقد الادبي عندنا يستطيع ان يؤدي دوره المطلوب بعد ان تنهيا له الامكانيات الثقافية والذوقية المختلفة في مجالات ثلاثة ليست هي كل مجالاته ولكنها أبرزها في وضعنا الادبي الراهن ، كما أنها تمثل الخطوط الرئيسية دون التفاصيل :

أولها : تحليل الأزمة القائمة في الادب بقصد تخطي هذه المرحلة التحليلية لتفتيح الآفاق نحو مستقبل يصبح الأدب فيه أكثر تعبيراً عن إنسانيتنا وتحقيقاً لها في مستوى أرفع ، والتعرض للمشاكل الرئيسية التي ترتبط بالأزمة الأدبية ، كعلاقة الادب بالقارئ ومشكلاته وأزماته ، وضرورة الكتابة ، وعلاقة التكنيك والشكل في صورهما المختلفة المتطورة بمقدرة العمل الفني على التعبير الاكثر غنى عن الانسان ، مع ملاحظة ان الأزمة تتفاوت باختلاف الاشكال ، فهي مثلاً بارزة الى حد بعيد في الأدب المسرحي ، بينما تعتبر اقل في الشعر او القصة .

وثانيها : المتابعة الواعية للتطور التلقائي لأشكال الادب عندنا ، معتمداً في ذلك على الملاحظة الدقيقة والبصر السليم لخصائص ذلك التطور في مراحلها المختلفة ، وكذلك على الذوق الذي تخلقه خبرات القراءة والحياة ، والذي يتمكن من تمييز العناصر المستحقة للبقاء في واقعنا ومبررات هذا الاستحقاق ، والعناصر التي يجب عزلها عن هذا الواقع حتى لا تعوق تطوره أو تحول بينه وبين النمو والوعي لأزمة الانسان الذي يعبر عنه .

وثالثها : محاولة توضيح المفاهيم التي شعر الناقد بمجاحتها إليها بعد أن استخلصها من دراساته الموضوعية ، وتجاربه القرائية في الأدب العالمي - وتأكيده هذه المفاهيم بشق الوسائل تأكيداً واعياً سيؤدي إلى مجموعة من التوترات التي تمهد لظهور أدب يحققها ويبرزها إلى الوجود .

رجاء النقاش

القاهرة